مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 12 عدد: 1، مارس 2023
ص: 223 - 236 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

حجاجيّة الأصوات في عنوان كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684هـ)

The Argumentation of Sounds in the Title of the book (The Pathway of Rhetoricians and the Lamb of Literary Writers) of Hazem the Carthaginian

ط د. فاطمة غراب [1] * / د. علي زيتونة مسعود [2]

Fatma gherab [1] / Dr. Ali Zitouna Messaoud [2]

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده.

جـــامعة الشَّهيد حمَّه لخضر _ الوادي (الجزائر)

Hamma Lakhdar Eloued University (Algeria)

gherab-fatma@univ-eloued.dz. [1] ali-zitouna@univ-eloued.dz [2]

تاريخ الإرسال: 2022/08/02	تاريخ القبول: 2022/12/07	تاريخ النشر: 2023/03/02

مُلخّص البحث

يُعدُّ العنوان من أبرز العتبات الحجاجيّة، التي تسهم في إقناع القارئ بالقيمة المعرفيّة للمادَّة المكتوبة، كونه يعدُّ من أهمّ العناصر الموازية للنَّصِّ الرَّئيس، والتي تُسهمُ في الكشفِ عن المقاصد الإقناعيّةِ والتَّأثيريّةِ، المتعلّقةِ بترويجِ المكتوبِ وتوسيعِ دائرةِ مقروئيّتهِ. وقد إستثمر المؤلّفون القدامى إستراتيجيّة الإقناع (الحجاج) أثناء إنتاجهم لعناوين مصنّفاتهم؛ وذلك بهدفٍ إقناعيّ تأثيريّ (تداوليّ)، وهو ما نجده في عناوين المصنّفات البلاغيّة والنّقديّة العربيّة القديمة.

ولإثباتِ حجاجيّة الأصوات في هذه المصنّفات، قمنا بمقاربة عنوان كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684هـ) حِجاجيًا؛ وذلك بتحليل البنية الصوتيّةِ المشكّلةِ لعنوانهِ، محاولين الوقوف على أبعادهِ الإقناعيّةِ والتّأثيريّةِ لتشكيله الصّوتيّ، منْ منظورٍ حجاجيٍّ تداوليٍّ.

الكلمات المفتاح: حِجَاج؛ أصوات؛ عنوان؛ منهاج البلغاء وسراج الأدباء.

Abstract:

The title is considered one of the most important argumentative thresholds, which contributes to convincing the reader of the cognitive value of the written material, as it is one of the most important elements parallel to the main text, and which contributes to revealing the persuasive and influential purposes related to promoting the written and expanding its readability. The old authors invested in the strategy of persuasion (argumentation) during the production of the titles of their works; this is for the purpose of commercial marketing (deliberative), which is what we find in the titles of ancient Arabic rhetorical and critical works.

* فاطمة غراب: gherab-fatma@univ-eloued.dz

In order to prove the argumentation of sounds in these works, we approached the title of the book (The Pathway of Rhetoricians and the Lamb of Literary Writers) of Hazem the Carthaginian (d. 684 Hidjri), by analyzing the formulated phonetic structure of its title, trying to identify its persuasive and influential dimensions of its vocal formation from argumentative and deliberative point of view.

Key words: Argumentation; Sounds; Title; Method of the rhetoricians and the lamp of literary writers.

المقدمة:

يُعدُّ العنوان مِنْ أبرزِ العتبات الحجاجيَّةِ، والمداخل النصّيَّةِ التي تسهمُ في إقناعِ القارئِ بالقيمةِ المعرفيَّةِ، والعلميَّةِ للمادَّةِ المكتوبةِ، سواء أكانتْ شعرًا أم نثرًا؛ كونهُ يعدُّ من أهمِّ العناصر الموازيةِ للنَّصِّ الرَّئيس، والتي تُسهمُ في الكشفِ عنِ المقاصد الإقناعيَّةِ والتأثيريَّةِ، المتعلّقةِ بتداولِ المكتوبِ، وتوسيعِ دائرةِ مقروئيّتهِ في السَّاحةِ الثَّقافيَّةِ. وقد إستثمرَ المؤلّفون القدامى استراتيجيَّةَ الإقناعِ (الحجاج) أثناءَ إنتاجِهِمْ لعناوين مصنَّفاتِهِمْ؛ وذلكَ لهدفٍ إقناعيٍّ تأثيريٍّ (تداوليّ)، وهو ما نجدهُ في عناوين المصنَّفاتِ البلاغيَّةِ والنقديَّةِ العربيَّةِ القديمة.

ولإثباتِ حجاجيَّةِ العنوانِ في المصنَّفاتِ الأدبيَّةِ، والبلاغيَّةِ، والنَّقديَّةِ العربيَّةِ القديمةِ، قُمنَا بمقاربةِ عنوانِ كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684هـ) حِجَاجيًّا؛ وذلكَ بتحليلِ البنيةِ الصَّوتيَّةِ المشكِّلةِ للعنوانِ على مستوى الصَّوتِ، محاولينَ الوقوفَ على الأبعادِ الإقناعيَّةِ والتَّأثيريَّةِ لخطابِ العنوانِ مِنْ منظورٍ حِجاجيٍّ تداوليٍّ.

والإشكاليَّةُ التي تطرحهَا هذهِ الدِّراسة هِيَ: ما التَّوجيهُ الحجاجيّ للأصواتِ المشكِّلةِ لبنيةِ عنوانِ (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي؟

وتتفرَّعُ عَنْ هذهِ الإشكاليَّةِ العديدَ مِنَ الأسئلةِ الفرعيَّةِ، نذكرُ أهمَّهَا:

_ما المقصودُ بالحجاج؟

_ما تعريفُ الصَّوت؟

_ما مفهومُ العنوان؟

وللإجابةِ عَنْ هذهِ الإشكاليَّةِ والأسئلةِ المتفرِّعةِ عنهَا، إتَّبعنَا إجراءَ الوصفِ والتَّحليلِ، إضافةً إلى آليَّةِ الإحصاءِ؛ مُستعينينَ بآليَّاتِ المنهجِ الحِجاجِيّ التَّداوليّ، ومعطيات اللّسانياتِ البنيويَّةِ، كما إعتمدنَا على المنهجِ السيميائيّ والتَّأويلِ في عمليَّةِ الكشفِ عَنْ علاقةِ العُنوانِ بمحتوَى الكتابِ.

وتوزَّعتْ عناصرُ الإجابةِ عَنْ الإشكاليَّةِ المطروحةِ وفقَ خُطَّةٍ، تحدَّدتْ معالمهَا على النَّحوِ الآتي:

أوَّلًا: مفهومُ الحِجاج.

ثانيًا: تعريفُ الصَّوتِ.

ثالثًا: مفهومُ العُنوانِ.

رابعًا: حجاجيَّةُ الأصواتِ في عنوانِ كتابِ: (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684هـ).

أولا ـ مفهومُ الحجاج:

يعدُّ مفهومُ "الحِجاج"(L'argumentation) مِنْ أبرزِ المفاهيم اللِّسانيَّةِ الحديثةِ، التي اِنشغلَ بتحديدِهَا وتأطيرِهَا ثُلَّةٌ مِنْ العلماءِ، والمفكِّرينَ، والباحثينَ في مختلفِ الحقولِ المعرفيَّةِ، المهتمَّةِ بالوظيفَةِ الإقناعيَّةِ والتَّأثيريَّةِ للخِطاباتِ الإنسانيَّةِ المختلفةِ، كعلومِ الاتِّصالِ، وعلمِ النَّفسِ المعرفيِّ، واللِّسانياتِ التَّداوليَّةِ؛ كونُ الحِجاجِ وسيلةَ الاستمالةِ، والإقناعِ، والتَّأثيرِ في وجهاتِ النَّظرِ، والمشاعر، والسُّلوكِ، وأداةً ناجعةً وناجعةً في تأويلِ مختلفِ الخطاباتِ الاستدلاليَّةِ، والكشفِ عَنْ المقاصد التَّداوليَّةِ والإقناعيَّةِ.

حيثُ تعدّدت التَّعريفات الاصطلاحيَّة لمصطلحِ الحجاج؛ تبعًا لتعدُّدِ مجالاتِه (الفلسفة، والمنطق، وعلوم الاتّصال، واللِّسانيات، والبلاغة...إلخ)، وتبايُنِ اِستعمالاتِه (الخطابة، الخطاب القانوني، والخطاب الفلسفيّ، والخطاب الإعلاميّ، والخطاب السِّياسيّ، والخطاب القرآنيّ، ...إلخ) هذا من جهة، ولتنوُّعِ التوجُّهاتِ الفكريَّةِ لمنظِّريهِ (التوجُّه البلاغيّ عند بيرلمان وتيتيكا، والتوجُّه المنطقيّ لتولمين، والتوجُّه اللّساني التَّداولي لديكرو وأنسكومبر، والتّوجُّه البلاغيّ الفلسفيّ لميشال مايير...) من جهة أخرى. وسنقتصر على إيراد تعريف أصحاب نظريَّة الحِجَاج اللُّغويّ؛ حيث عرَّفه رائدا نظريَّة الحجاج اللّغويّ "ديكرو" (Ducrot) و"أنسكومبر"(Anescombre) بأنَّه: "تقديمُ المتكلِّمِ قولًا ق1 (أو مجموعة من الأقوال) مُوَجَّهة إلى جعلِ المخاطبِ يقبلُ قولًا آخرَ ق2 (أو مجموعة أقوال أخرى) سواء أكان ق2 صريحًا أم ضمنيًّا، وهذا الحملُ على قبولِ ق2 على أنَّهُ نتيجةٌ للحجَّةِ ق1 يُسمَّى عمل محاجَّةٍ"[1].

فالحِجَاجُ، إذن، وفقَ منظورِ أصحابِ الحجاجِ اللُّغويّ، هُوَ عبارةٌ عَنْ إنجازِ ملفوظينِ تداوليّين؛ أحدهما يُدعَى "الحجَّةُ"، والآخرُ يُسمَّى "النتيجةُ الحجاجيَّةُ"، والتي تُستنتجُ مِنَ الملفوظِ الأوَّلِ (الحجَّة)، وهذهِ النَّتيجة قدْ تكونُ صريحةً (ظاهرة) أو ضمنيَّةً (غير ظاهرة أو غير مصرَّح بها) داخلَ الخطابِ الإقناعيّ.

مِنْ خلال هذا التَّعريف، نخلصُ أنَّ الحِجَاجَ هُوَ توظيفُ المحاجِجِ (المتكلم أو الكاتب) لمجموعةٍ من التِّقنياتِ، والآليَّاتِ، والأدواتِ البلاغيَّةِ، واللُّغويَّةِ، وشبه المنطقيَّةِ، قصدَ إقناعِ المتلقي (المستمع أو القارئ) بالنَّتيجةِ الحِجاجيَّةِ، التي تقودُ إليهَا الحُجج المدعِّمة للقضيَّةِ المطروحةِ، والتي يريدُ المحاجِجُ تمريرهَا للمتلقي، ومحاولةِ كسبِ تأييدِهِ لهَا وقبولهَا.

ثانيا ـ تعريف الصَّوت: يعدُّ الصَّوتُ مِنْ أبرزِ العناصر المشكِّلةِ لبنيةِ العنْونة. والصَّوتُ اللُّغويّ كما يعرِّفهُ "إبراهيم أنيس": "هُوَ ككُلِّ الأَصْوَاتِ يَنْشَأُ مِنْ ذَبْذَبَاتٍ مَصْدَرُهَا عِنْدَ الإِنْسَانِ الحُنْجُرَة"[2].

فالصَّوْتُ، إذنْ، عبارةٌ عَنْ أثرٍ سمعيٍّ ناتجٍ عَنِ الموجاتِ الصَّوتيَّةِ التي تصدرُ عنْ الجهازِ النُّطقيّ.

ثالثا ـ مفهومُ العُنوانِ: يعدُّ "العُنوانُ" مِنْ أبرزِ العتباتِ النَّصِّيَّةِ الموازيةِ والمحيطةِ بالنَّصِّ الرَّئيس، وتكمنُ أهميَّتهُ في كونهِ أوَّلَ ما يُواجِهُ القارئَ عندَ تصفُّحهِ لواجهةِ المكتوبِ، وأوَّلَ ما يقاربهُ المحلّلُ أثناءَ تحليلِهِ للخطاباتِ المختلفةِ، قصدَ الكشفِ عَنْ جماليَّاتِهَا، وبناها اللُّغويَّةِ، وأبعادهَا الدَّلاليَّةِ، والسِّيميائيَّةِ، والحِجاجيَّةِ، والتَّداوليَّةِ.

ونظراً لهذهِ الأهمِّيَّة، تعدَّدتْ المفاهيمُ الاصطلاحيَّةُ لمصطلحِ "العُنوانِ" عندَ النُّقَّادِ والباحثينَ في مجالِ تحليلِ الخطابِ والسِّيميولوجيا؛ وذلكَ نظرًا لتعدُّدِ زوايَا النَّظرِ إلى العُنوانِ، كونهُ يمثّلُ بنيةً صوتيَّةً، وصرفيَّةً، ونحويَّةً، وتركيبيَّةً، ذاتَ أبعادٍ فنيَّةٍ، وجماليَّةٍ، وذاتَ حمولةٍ دلاليَّةٍ، وحجاجيَّةٍ تأثيريَّةٍ، حيث عرّفهُ النَّاقدُ "لوي هويك" (Leo Höck) أحد أكبرِ المؤسّسينَ المعاصرينَ لعلمِ العنونةِ في كتابهِ (سمة العنوان) (La marque du titre) بأنَّهُ: "مجموعةُ العلاماتِ اللِّسانيَّةِ (كلمات مفردة، جمل، نصّ) التي يمكنُ أنْ تُدْرَجَ على رأسِ النَّصِّ، لتحدّدهُ، وتدلَّ على محتواه العامّ، وتجذبَ الجمهورَ لقراءتهِ"[3].

يتَّضحُ مِنْ خلالِ هذَا التَّعريفِ، أنَّ "لوي هويك" (Leo Höck) عرَّفَ "العنوانَ"، إنطلاقًا مِنْ مادَّتهِ (كونهُ يتشكَّلُ مِنْ كلماتٍ، وجملٍ، وقد يتجاوزُ ذلكَ إلى نصٍّ بأكملهِ)، وأنطولوجيَّتهِ (كونهُ يتموضعُ في أعلَى النَّصِّ، سواء أكانَ شعرًا أم نثرًا أو في واجهةِ الكتابِ)، ووظائفهِ الأساسيَّةِ التي يضطلعُ بأدائهَا (الوظيفة التَّحديديّة أو التَّعيينيَّةِ، والوظيفة الدَّلاليَّة الإيحائيَّة، والوظيفة الإغرائيَّة).

ويُعرّفُ "حاتم بن عارف العوني" العنوانَ بقولهِ: "العنوانُ في حقيقتهِ هُوَ الكلمةُ أو الكلماتُ التي تختصرُ الكتابَ بصفحاتهِ ومجلَّداتهِ، وتعتصرُ جميعَ معانيهِ في تلكَ الأحرفِ التي تُرقَّمُ علَى واجهةِ الكتابِ"[4].

يتَّضحُ ممَّا تقدَّمَ أنَّ العنوانَ عبارةٌ عَنْ رسالةٍ تواصليَّةٍ تداوليَّةٍ، متكوّنةٍ مِن كلماتٍ، وجملٍ، وروابط، تحاولُ وسْم مضمونِ المكتوبِ، والتَّعريف بمحتوياتِهِ، وتحديدِ مضامينهِ، بأوجزِ عبارةٍ وأدقِّ دلالةٍ؛ وذلكَ قصدَ إغراءِ القرَّاءِ على متابعةِ قراءةِ المادَّةِ المكتوبةِ، سواء أكانتْ شعرًا أم نثرًا.

رابعا ـ حجاجيَّةُ الأصواتِ في عنوانِ كتاب: (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684هـ):

1 ـ حجاجيَّةُ المعرفةِ والسُّلطةِ العلميَّةِ للمؤلِّف "حازم القارطاجنّي" (ت 684هـ):

أ ـ التَّعريف بالمُؤلِّف: هُوَ أبُو الحسنِ حازم بن محمَّد بن حسن بن محمَّد بن خلف بن حازم الأنصاريّ القرطاجنّي[5] النَّحويّ، شيخُ البلاغةِ والأدبِ[6]. وُلد سنة 608هـ، ونشأ في وسطٍ ممتازٍ، وقضى طفولتهُ وشبابه في عيشٍ رغدٍ، متنقلًا بين قرطاجنَّة ومُرسيَّة. وكان مقبلاً على التَّعلُّمِ والدَّرسِ منذُ طفولتهِ. وقد بدأ ككلِّ الأطفالِ في عصرهِ بحفظِ القرآنِ، وتخرَّجَ في قراءتهِ على شُيوخٍ مِنْ قرَّاءِ بلدهِ. ووجدَ مِنْ والدهِ خيرَ مُلقِّنٍ ومُوجّهٍ لمعرفةِ العربيَّةِ، وتعلُّمِ قواعدهَا، والإلمامِ بطائفةٍ مِنْ قضايَا الفقهِ، والعلومِ الحديثيَّةِ. ولمَّا يفعْ أقبلَ مثلُ معاصريهِ ابن الأبَّار والمخزوميّ على دراسةِ العُلومِ الشَّرعيَّةِ واللُّغويَّةِ. واكتملتْ عناصرُ ثقافتهِ فكانَ فقيهًا، مالكيَّ المذهبِ كوالدهِ، نحويًّا بصريًّا كعامَّةِ علماءِ الأندلسِ، حافظًا للحديثِ، راويةً للأخبارِ والأدبِ، شاعرًا.

إتَّصلَ بشيخهِ الجليلِ عُمدةُ الحديثِ الذِي عُرِفَ بالانتسابِ إليهِ أبي علي الشَّلوبين. ومِنَ المقدَّرِ أنَّ هذا الإمامَ لاحظَ في مُريدهِ شيئًا مِنَ الاستعدادِ للأخذِ بالعلومِ العقليَّةِ، فلمْ يجعلْ منهُ راويةً كابن الأبَّار أو

لغويًّا نحويًّا فقط، فيقتصرَ على تدريسِ كتابِ سيبويه لهُ، بلْ حملهُ على الأخذِ بالعلومِ الحكميَّةِ الهيلينيَّةِ، ووجَّههُ إلى دراسةِ المنطقِ، والخطابةِ، والشِّعرِ، وأعجبَ حازم بعلوِّ منزلةِ أستاذِهِ، وأكبر اتّساعِ معارفِهِ. فأقبلَ على مطالعةِ ما أشارَ عليهِ بهِ مِنْ مُصنَّفاتِ شيخهِ ابن رشد، وكُتبِ غيرِهِ مِنَ الفلاسفةِ، أمثال الفارابي وابن سينا. قاربَ عددُ شيوخِ حازم حسبَ أبي حيان الألفَ...[7].

للقرطاجنّي عدَّةُ تآليفَ، وتوفيَ ليلةَ السَّبتِ 24رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة (ت684هـ) بتونسَ[8].

قالَ أبُو حيَّان: كانَ حازم أوحدَ زمانهِ في النَّظمِ، والنَّثرِ، والنَّحوِ، واللُّغةِ، والعروضِ، وعلمِ البيانِ. روى عَنْ جماعةٍ يقاربونَ الألفَ؛ وروى عنهُ أبو حيان وابن رشيد، وذكره في رحلتهِ، فقالَ: حَبْرُ البلغاءِ، وبحْرُ الأدباءِ، ذُو اِختياراتٍ فائقةٍ، واِختراعاتٍ رائقةٍ، لا نعلمُ أحدًا ممّنْ لقيناهُ جمعَ مِنْ علمِ اللِّسانِ ما جمعَ، ولا أحكمَ مِنْ معاقد علمِ البيانِ ما أحكمَ، مِنْ منقولٍ ومبتدعٍ؛ وأمَّا البلاغةُ فهُوَ بحرُهَا العَذْبُ، والمتفرّدُ بحَمْلِ رايتِهَا أميرًا في الشَّرقِ والغربِ؛ وأمَّا حفظُ لغاتِ العربِ، وأشعارِهَا، وأخبارِهَا، فهُوَ حمَّادُ رواياتِهَا، وحمَّالُ أوقارِهَا؛ يجمعُ إلى ذلكَ جودةَ التَّصنيفِ، وبراعةً؛ ويضربُ بسهمٍ في العقلياتِ، والدِّرايةُ أغلب عليه مِنَ الرّوايةِ[9].

ترَكَ حازم ثلاثةً أو أربعةَ تصانيفَ في فنونِ البلاغةِ والشِّعرِ، منهَا مَا هُوَ مفقودٌ، وَهُوَ كتابُ التَّجنيس، ومنهَا في العروضِ وعلمِ القافيةِ، ومنهَا أخيرًا في فنِّ الشِّعرِ، وهُوَ كتاب (المنهاج)، أمَّا آثارُهُ النَّحويَّةُ، فقدْ صنَّفَ كغيرِهِ مِنَ المشارقةِ والمغاربةِ، أمثال ابن هشام، وابن الضَّائع، والجزريّ، وابن الحاج رسالةً في الرَّدِّ على كتابِ المقرَّبِ لابن عصفور، أسماهَا (شدُّ الزنَّار على جحفلة الحمارِ)، وهُوَ كتابٌ مفقودٌ[10]، كَمَا صنَّفَ حازم قصيدةً نحويَّةً على رويّ الميمِ[11].

فانطلاقًا مِنَ الجوانب الشَّخصيَّةِ والثَّقافيَّةِ، ورُتبيَّةِ السِّيرةِ العلميَّةِ لحازم القرطاجنّي، مُؤلِّفُ كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، تزدادُ حِدَّةُ الإقناعِ لدَى القارئِ بقيمةِ الكِتابِ المعرفيَّةِ والعِلميَّةِ، وبكفاءةِ صاحبهِ الحِجاجيَّةِ والتَّداوليَّةِ، وبالتَّالي تتَّسعُ دائرةُ مقروئيَّتِهِ في السَّاحةِ الثَّقافيَّةِ، بازديادِ عددِ القُرَّاءِ، وذلكَ بفضلِ سُلطةِ المؤلِّفِ (حازم) العلميَّةِ والمعرفيَّةِ، التي تفرضُ علَى المتلقّي نمطًا مِنَ النتائجِ الحِجاجيَّةِ، مِنْ قبيلِ: هذَا كتابٌ ألَّفهُ حازمٌ، وهُوَ المرجعُ في العربيَّةِ، والعَروضِ، والبلاغةِ، والأدبِ، والشِّعرِ في عصرِهِ، فاقتنوهُ، واستفيدُوا مِنْ معارفِهِ، واتّبعُوا مناهجَ البُلغاءِ والأدباءِ في صناعتهمْ البَلاغيَّةِ والشِّعريَّةِ؛ لتبلغُوا مراتبَ الفُحولِ في الجودةِ والإتقانِ.

ب ـ حِجاجِيَّةُ اللُّوغُوس أو لغة العنوان (Logos):

ب ـ1ـ التَّعريفُ بالكتابِ: المنهاجُ "كتابُ بلاغةٍ ونقدٍ، تذكّر موضوعاتهُ المختلفةُ المتنوعةُ بمصنَّفاتِ الرُّمَّاني 994/384، والخطابيّ 998/388، والجرجانيّ 1081/474 ـ 1082، كَمَا يكمِّل صنيع كثيرٍ من النُّقادِ، أمثال: قدامة 958/337، والآمديّ 981/371، والخفاجيّ 1073/466"[12].

تناولَ حازم في هذَا الكتاب صناعةَ الشِّعرِ على العمومِ وعلى الوجهِ الذِي يراهُ المؤلِّفُ في عصرِهِ؛ حيثُ درسَ موضوعَ الشِّعرِ، وطريقةَ نظمِهِ، وذلكَ في القسمِ الثَّاني، والثَّالث، والرَّابع مِنَ المنهاج ببحثِ المعاني،

والمباني، والأسلوبِ[13]. أمَّا القسمُ الأوَّلُ فهوَ مفقودٌ، ويرجَّحُ أنَّ حازمًا قد تناولَ فيهِ "القولَ وأجزاءَهُ، والأداءَ وطرقهُ، والأثرَ الذي يحصلُ للسَّامعينَ عندَ صُدورِ الكلامِ"[14]. وكُلُّ قسمٍ مِنَ الأقسامِ الثَّلاثةِ "مُوزَّعٌ إلى أربعةِ أبوابٍ، أطلقَ حازم علَى كُلِّ منهَا اسمَ منهجٍ، ثمَّ جعلَ المناهجَ أو الأبوابَ مُتألِّفةً من فصولٍ دعاهَا على التَّعاقبِ بمعلمٍ أو معرفٍ. وهو يُتبعهَا غالبًا بملاحظاتٍ بلاغيَّةٍ، يجمعهَا في فصولٍ ختاميَّةٍ، يعنونُ لها بمأمّ أو مآم على الإفرادِ أو الجمعِ. هذا وقد جعلَ فقر المنهاج متمايزةً هي أيضًا في كلِّ فصلٍ من فصولِ الكتابِ، فعنونَ لها بلفظينِ على التَّعاقبِ إضاءة وتنوير"[15].

يبحثُ القسمُ الثَّاني في المعاني؛ والمقصودُ بالمعاني عند حازم "البحثُ في حقائق المعاني ذاتها، وأحوالهَا وطرقِ إستحضارهَا، وانتظامهَا في الذِّهنِ، وأساليب عرضهَا، وصُور التَّعبيرِ عنهَا"[16].

والقسمُ الثَّالثُ مِنَ المنهاجِ موضوعهُ المباني والأعاريض الشِّعريَّةِ. وهُوَ يتألَّفُ مِنْ أربعةِ مناهجَ أو أبوابٍ، يبحثُ فيهَا المؤلِّفُ الأوزانَ، وما تخضعُ لهُ مِنْ قوانينٍ، وأحكامٍ بلاغيَّةٍ، ترتبطُ باللَّفظِ، والتركيبِ، والبحرِ، والقافيةِ، وسائرِ ما يتقوَّمُ بهِ فنُّ النَّظمِ[17].

أمَّا القسمُ الرَّابعُ والأخيرُ، فيتناول بالبحثِ والدِّراسة الأسلوب. وقد جرى فيهِ على عادتهِ مِنْ توزيع كلِّ قسمٍ إلى أربعة مناهجَ، وفي هذه الأبواب الأربعة الأخيرة، التي هي نهاية التَّأليفِ: تعرَّضَ حازم إلى الطّرقِ الشِّعريَّةِ، ومآخذ الشُّعراءِ في كُلِّ لونٍ مِنْ ألوانِ النَّظمِ، بحسبِ مَا تقتضيهِ أحوالُ الكلامِ فيهِ[18]. وهوَ في الفصلِ الأخيرِ مِنْ كتابهِ، يُعلنُ عَنْ خُطَّتهِ في مؤلفه، ويُصوّرهَا لنَا بقولهِ: "قدْ تكلَّمنَا عَنْ هذه الصِّناعة (الصِّناعة الشِّعريَّة) في جملةٍ مُقنعةٍ، وبقيت أشياء، لا يمكنُ تتبعهَا؛ لكثرةِ تشعُّبهَا وتعذُّر إستقصائِها"[19].

وانطلاقًا ممَّا تقدَّمَ مِنْ مضامين حولَ محتوى كتاب المنهاج، يقتنعُ القارئُ بنتيجةٍ ضمنيَّةٍ، مفادهَا: أصالةُ حازم في علميّ البلاغةِ والشِّعرِ. والتَّوجيهُ الحجاجيُّ الذِي يرومُ الكاتبُ توجيهَ القارئ إليهِ، مِنْ خلالِ تأليفهِ لهذا الكتابِ هُوَ: دعوةُ الشُّعراءِ إلى الاحتذاءِ بمناهجَ الفحولِ مِنَ البلغاءِ والأدباءِ في صناعتهمْ الشِّعريَّةِ.

وللكشفِ عَنْ حِجاجيَّةِ اللُّوغوس في خِطابِ العنوانِ، سنقومُ بمقاربةِ لغةِ عنوانِ الكتابِ حجاجيًّا، على مستوى الصَّوت، وذلك وفقَ ما يلي:

ب ـ 2 ـ حجاجيَّةُ الصَّوتِ: يمتلكُ الصَّوتُ طاقةً إقناعيَّةً وتأثيريَّةً بالغةً؛ تُسهمُ في توجيهِ المتلقي نحوَ نتيجةٍ حجاجيَّةٍ مُعيَّنةٍ، وتغييرِ مواقفهِ، وآرائهِ أو تعديلِ سلوكِهِ تجاهَ محتوى الكتابِ ومضمونهِ. وللكشفِ عنْ حِجاجيَّةِ البنيةِ الصَّوتيَّةِ، المشكِّلةِ للُغةِ عُنوانِ كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684هـ)، سنبيّنُ الأبعادَ الحِجاجيَّةَ والتَّأثيريَّةَ للصَّوامت، والصَّوائت، وذلكَ فيما يلي:

ب ـ 2 ـ 1 ـ حجاجيَّةُ الصَّوامت: إضطلعتْ الأصواتُ الصَّامتةُ بدورٍ حِجاجيٍّ في لغةِ عُنوانِ (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)؛ حيثُ أسهمتْ في إقناعِ القارئِ، واستمالتهِ، والتَّأثيرِ فيهِ فِكرًا(التَّأكيد على قيمةِ الكتابِ المعرفيَّةِ والمنهجيَّةِ)، وشُعورًا (دعوة القارئ إلى الإعجابِ بمحتوى الكتابِ)، وسلوكًا (دعوة القارئ إلى اِقتناء الكتابِ،

ومتابعة قراءته، والامتثال بما أدلى بهِ من مناهج وطرائق؛ تمكّنُ الشُّعراء مِنْ إحكامِ صناعتهم الشِّعريّةِ)؛ وذلكَ قصدَ إحداثِ إستمالةِ المتلقينِ، والتَّأثيرِ في إعتقاداتهمْ، ومواقفهمْ الفِكريّةِ والعاطفيّةِ، والسُّلوكيّةِ.

وقبلَ توضيحِ الأبعادِ الإقناعيّةِ والتَّأثيريّةِ للصَّوامتِ الأكثر حُضورًا وسيطرةً علَى خطابِ العنونةِ مُتَّخذينَ مِنْ عُنوانِ الكتابِ فضاءً إجرائيًّا وتطبيقيًّا؛ لاختبارِ فرضيّةِ حِجاجيّة الصَّوامت في خطابِ العنونةِ في الكتبِ التَّقديّة، والبلاغيّةِ العربيّةِ القديمةِ، سنقومُ بإحصاءِ عددِ تواترِ الأصواتِ الصَّامتةِ، ونسبِ تكرارهَا في خطابِ العنوانِ (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، وهو ما يوضّحهُ الجدولُ التَّالي الذِي يوضّح عددَ تواترِ الصَّوامت في بنيةِ العنوانِ، ونسبةِ تكرارهَا:

الصوامت	عدد تواترها	النسبة المئوية
الميم	01	%5
النون	01	%5
الهاء	01	%5
الجيم	02	%10
الهمزة	05	%25
اللام	03	%15
الباء	02	%10
الغين	01	%5
الواو	01	%5
السين	01	%5
الراء	01	%5
الدال	01	%5
المجموع	20	%100

نلاحظُ مِنْ خلالِ هذَا الجدولِ أنَّ عددَ الأصواتِ الصَّامتة، المشكّلةِ لبنيةِ عنوان كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) بلغتْ حوالي (20) صامتًا. وتجدرُ الإشارةُ، ههنَا، أنَّ أكثرَ الأصواتِ حُضورًا في خطابِ العنوانِ هُوَ صوتُ الهمزةِ، الذِي تواترَ تكرارهُ حوالي (05) مرَّات، بنسبةٍ قدرهَا (25%)، ثمَّ يليهِ، مِنْ حيثُ الحضورِ، صوتُ اللاَّم الذِي بلغَ عددهُ حوالي (03) مرَّات، بنسبةٍ قدرهَا (15%)، ثمَّ يليهِ صوْتَا الباء والجيم، اللَّذين تواترا تكرارهمَا حوالي مرَّتين، بنسبةٍ قدرهَا (10%)، ثمَّ يليهِ الميم، والنُّون، والهاء، والغين والواو، والرَّاء، والدَّال؛ حيثُ تكرَّرت هذهِ الأصوات مرَّةً واحدةً، بنسبةٍ قدرهَا (5%).

وسنقتصرُ فيما يلي بتحليلِ أكثرِ الأصواتِ الصَّامتةِ حُضورًا في خطابِ العنونةِ حِجاجيًّا، وهمَا صوتا (الهمزة)، و(اللاَّم).

ب ـ 2 ـ 1 ـ 1. حِجاجيّة صوت الهمزة: تواترَ صوتُ (الهمزة) في بنيةِ عنوان كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684هـ) حوالي (05) مرَّات، بنسبةٍ قدرهَا (25%)، وهيَ نسبةٌ مرتفعةٌ، مقارنةً

بنسبِ تواترِ الأصواتِ الأخرى. وقدْ وُظِّفَ صوتُ الهمزةِ في سياقٍ إقناعيٍّ تأثيريّ، يتجلَّى ذلكَ واضحًا في لفظتيْ (البُلَغَاء)، و(الأُدَبَاء)؛ حيثُ أكسبَ صوتُ (الهمزةِ) هذينِ اللَّفظتينِ صِبغةً حِجاجيَّةً وتأثيريَّةً، مُستمدةً مِنْ خصائصهَا الفيزيولوجيَّةِ، والفيزيائيَّةِ، والإيحائيَّةِ الدَّلاليَّةِ؛ فصَوْتُ (الهمزةِ) "حُنجريٌّ اِنفجاريٌّ، لا هُوَ بالمهموسِ، ولا بالمجهورِ، وفي نُطقهِ تُسدُّ الفتحةُ الموجودةُ بينَ الوترينِ الصَّوتيَّينِ حالَ النُّطق بهمزة القطعِ، وذلكَ بِانطباقِ صوتيْ الوترينِ أدنى الحنجرةِ اِنطباقًا تامًّا، فلا يسمح للهواءِ بالمرورِ من الحنجرةِ، ثمَّ ينفرجُ الوترانِ، فيخرج الهواءُ، محدثًا صوتًا اِنفجاريًّا (شديدًا)"[20]. فصفةُ الجهرِ والشِّدَّةِ في الهمزة، دعَّمَ الطرَحَ الحِجاجيّ لحازم، من خلالِ تأليفهِ لهذَا الكتابِ، والمتمثِّل في: الجهرِ بالمناهجِ الأدبيَّةِ والطَّرائق الشِّعريةِ، التي سلكهَا فُحولُ الشُّعراء في نظمِ أشعارهمِ، التي بفضلهَا ذاعَ صِيتُهم بالجودةِ والإتقانِ، والشَّاعريَّةِ. حيثُ تناولَ "موضوعَ الشِّعر وطريقةِ نظمهِ، ونجدهُ يتعمَّقُ ذلك في القسمِ الثَّاني والثَّالث، والرَّابع من المنهاج ببحثِ المعاني، والمباني، والأسلوب"[21]. وصوتُ (الهمزةِ) في أوَّلِ اللَّفظةِ وآخرهَا، يعملُ على لفتِ اِنتباهِ القارئ، ويتّصفُ بالحضورِ، والوضوحِ، والعيانيةِ[22]، حيثُ حاولَ "حازم" إقناعَ القُرَّاءِ (البُلغاء، والأدباء، والشُّعراء، والنُّقَّاد) بأنَّ كتابَهُ (المنهاج) تحضرُ فيهِ الطَّرائق الشِّعريّة والبلاغيّة الواضحة، التي اِنتهجَهَا فُحولُ البلغاءِ والأدباءِ (الشُّعراء) في صِناعتهمْ الشِّعريّة. وهذَا مَا مكَّنهمْ من الظُّهورِ في السَّاحةِ الأدبيَّةِ، والشُّهرةِ، وذُيوعِ الصِّيتِ في الجودةِ، والإتقانِ مِنْ ناحيةِ المعاني، والمباني، والأسلوبِ، والسُّمو إلى مرتبةِ الفحولِ.

وَبذلكَ فقدْ أكسبَ صوتُ (الهمزة) لفظتيْ (البلغاء)، و(الأدباء) طابعًا حِجاجيًّا وتأثيريًّا، أسهمَ في إقناعِ المتلقي (القارئ) بنتيجةٍ حِجاجيَّةٍ ضِمنيَّةٍ، مفادهَا: وُضوحُ المناهجِ الأدبيَّةِ، والشِّعريَّةِ، والنَّقديَّةِ التي عرضهَا "حازم" في كتابهِ. والتَّوجيهُ الحِجاجيُّ الذِي يرومُ توجيهَ المتلقّي إليهِ هو: لفتُ اِنتباهِ القُرَّاءِ إلى قيمةِ الكتابِ الأدبيَّةِ، والنَّقديَّةِ، والبلاغيَّةِ، والعروضيَّةِ بالنسبةِ للنَّاظمِ والنَّاثرِ؛ فالكتابُ بمثابةِ دليلٍ توجيهيّ، يُكسبُ الشُّعراءَ آليَاتَ الصِّناعَةِ الشِّعريَّةِ، وطرائقَ اِنتقاءِ موادهمْ الشِّعريَّةِ، ونسجِ عباراتهمْ ومعانيهمْ، وأخيلتهمْ، ومبانيهمْ ونظمهَا في قالبٍ شِعريّ، يستميلُ النُّفوسَ والعُقولَ، وتحسنُ لهُ الأسماعُ والأذهان لذلكَ تجدهُ يُكثرُ مِنْ اِستخدامِ الأفعالِ الإلتزاميَّةِ (ينبغي[23]، يجب، اِعلم[24]، ...)، والتي تستوجبُ على القارئ التقيّدَ بهَا. ويظهرُ ذلكَ في العديدِ من المواضع؛ نذكرُ بعضهَا فيمَا يلِي:

ــ يقولُ حازم في معلمٍ دالّ على طرقِ العلمِ بما قصد في أبنية القول من أنحاء التَّناسب وذهب فيها من مذاهب البلاغة التي يكون لها بها تحصين في الوضع، وتحسين في السَّمع: "فأمَّا ما يجب اعتمادهُ في وضع القوافي وتأصيلها، فإنَّ النَّظر في ذلك من أربع جهات: الجهة الأولى جهة التمكّن؛ الثَّانية جهة صحَّة الوضع؛ الثَّالثة جهة كونها تامَّة أو غير تامَّة؛ الرَّابعة جهة اِعتناء النَّفس بما وقع في النِّهاية لكونها مظنَّة اِشتهار الإحسان أو الإساءة"[25].

يدعو "حازم" مِنْ خلالِ هذهِ المقولة الشُّعراء إلى اِختيارِ قوافٍ متناسبةٍ مع الوزنِ والغرضِ الشِّعريّ، لتحدثَ أثرًا مُوسيقيًّا تطربُ لهُ النَّفس، وتستميلُ إليهِ القُلوب والعقولُ. لذلكَ فهو يوجّهُ شعراءَ عصرهِ إلى إحكامِ وضعِ قوافيهمْ أثناءَ نظمِهمْ لأشعارِهمْ، وذلكَ من جهاتِهَا الأربع:

أ ــ جهةُ التَّمكُّن؛ مِنْ حيثُ اِئتلافِها، وتلاؤمها بما قبلها.

ب ــ جهةُ الوضع؛ مِنْ حيثُ مراعاة وحدة الرَّوي في سائر قوافي القصيدة.

ج ــ جهة كونها تامَّة أو غير تامَّة؛ من حيثُ كونها مكتفية بذاتها أو أنَّها تحتاج إلى بيت آخر ليتمّ معناها.

د ــ جهة اِعتناء النَّفس بما وقعَ في النِّهايةِ؛ بحيثُ يُراعى في القافيةِ موقعَهَا، وأثرهَا الجماليّ في نفسيَّةِ المتلقي.

وقال أيضًا في سياقٍ آخر: "يجب للشَّاعر إذا أرادَ نظم شعر ــ وكانَ الزَّمان له مُنفسِحًا والحال مُساعِدة ــ أنْ يأخذَ نفسَهُ بوصيَّة أبي تمام الطائيّ لأبي عبادة البحتري في ذلك ويأتمّ بهِ. فإنَّها تضمَّنتْ جملاً مفيدةً بما يحتاجُ إلى معرفتهِ، والعمل بحسبه صاحب هذه الصِّناعة"[26].

وعليه، فحازم، ههنا، يدعُو الشُّعراءَ إلى اِتّباعِ وصيَّةِ أبي تمّام للبُحتريّ في نظمِ الشِّعر؛ فهُوَ أرادَ إقناعَ المتلقيّ (البحتريّ خاصَّة والشُّعراء بصفة عامَّة) بضرورةِ مراعاةِ الاستعداداتِ النَّفسيَّة والأوقاتِ المناسبةِ، التي تسمحُ بقولِ الشِّعرِ، كما عليهِ مُراعاة المقامِ، والملاءمةِ بينَ اللَّفظ، والمعنى، والوزنِ، والغرضِ الشِّعريّ أثناءَ الصِّناعةِ الشِّعريَّةِ؛ ليحسُنَ موقعَها في نفوسِ المتلقينَ.

كما عرضَ حازم مجملَ القوانين البلاغيَّةِ التي يجهلهَا شُعراء عصرهِ (شعراء المشرق الأندلسيّين). يقول في هذا الصَّدد: "وإنَّما اِحتجتُ إلى هذا لأنَّ الطِّباع منذُ اختلَّت، والأفكار منذ قصّرت، والعناية بهذه الصّناعة منذ قلَّت، وتحسين كلّ من المدّعين صناعة الشّعر ظنّه بطبعه، وظنّه أنَّه لا يحتاجُ في الشّعر إلى أكثر من الطَّبع. وبنيته على أنَّ كلّ كلام مقفًّى موزون شعر، جهالة منه: أنَّ الطِّباع قد تداخلها من الاختلال والفساد أضعاف ما تداخل الألسنة من اللَّحن؛ فهي تستجيدُ الغثَّ، وتستغيثُ الجيّد من الكلام ما لم تقمع بردّها إلى اِعتبار الكلام بالقوانين البلاغيَّة، فيعلم بذلك ما يحسن وما لا يحسن"[27].

فالشِّعر، حسب حازم القرطاجنّي، ليس مجرَّدَ طبعٍ فقط، أو كلامٍ موزونٍ مقفًّى، بل هو كلامٌ خاضعٌ للقوانين البلاغيَّةِ، التي تُضفي على الشّعرِ لمسةً جماليَّةً، وأثرًا طيبًا في نفسيَّةِ المتلقي، الأمر الذي يزيدهُ إقناعًا وتأثيرًا. وكما أرجعَ حازم القرطاجنّي ضُعفَ الشِّعرِ الأندلسيّ في عصرهِ إلى اِختلالِ طباعِ الشُّعراءِ، وفسادِ ذائقتهم الأدبيَّةِ؛ لعدمِ تقيّدهم بالقوانين والأحكامِ البلاغيَّةِ. ولذلكَ أتَى حازم بهذَا المشروعِ الإصلاحيّ النَّقديّ لتقويمِ العمليَّةِ الإبداعيَّةِ الشِّعريَّةِ، ونقدِهَا وفقَ معيارِ الجودةِ والحُسْنِ.

ب ـ 2 ـ 1 ـ 2 ـ حجاجيَّةُ صوت اللَّام: وظَّفَ الكاتِب صوتَ اللاَّم في عنوان كتابه (المنهاج) (03) مرَّات، بنسبة قدرها (15%) توظيفًا حجاجيًّا، وغايته من توظيفهِ هو إحداثُ الإقناعِ والتَّأثيرِ في القرَّاءِ؛ وذلكَ نظرًا لخصائصهِ الصَّوتيَّة، والإيحائيَّةِ، والتَّأثيريَّةِ، ويتجلَّى ذلكَ واضحًا في لفظةِ (البُلَغَاء). فصوتُ اللَّام، ههنا، "لثويٌّ (جَانبيٌّ) مُتوسّطٌ مجهورٌ مُرقَّقٌ"[28]؛ فهُوَ صَوْتٌ مُتوسّطُ الشِّدَّةِ، يمتازُ بصفتيْ الجهرِ والانحرافِ. وسمةُ الانحرافِ

أو الجانبيَّةِ التي يمتازُ بها صوتُ اللاَّم أسهمتْ في إقناعِ المتلقي (الشُّعراء) بنتيجةٍ حِجاجيَّةٍ، مفادُهَا: انحرافُ الشُّعراء الأندلسيُّون عَنْ نهجِ الفُحُولِ مِنَ الشُّعراءِ. والتَّوجيهُ الحِجَاجِيُّ لهذَا التَّوظيف هوَ: دعوةُ الشُّعراءِ إلى اتِّباعِ المناهجِ الشِّعريَّةِ، التي اتَّبعهَا فُحولُ الشُّعراءِ في صناعتِهِمْ الشِّعريَّةِ. ومَا زادَ في عمليَّةِ الإقناعِ والتَّأثيرِ الخصائص الفيزيولوجيَّة لصوتِ اللاَّم، المتعلِّقةِ بمخرجه اللِّثويّ؛ بحيثُ يُنطقُ هذا الصَّوت "بأنْ يتَّصلَ طرفُ اللِّسانِ باللِّثةِ، ويرتفعَ الطَّبقَ، فنسدَّ المجرَى؛ عَنْ طريقِ اتِّصالِهِ بالجدارِ الخلفيّ للحلقِ، وتكونُ الأوتارُ الصَّوتيَّةُ في حالةِ تضييقٍ، ممَّا يجعلهَا تهتزُّ عندَ مُرورِ الهواءِ بهَا"[29].

إنَّ هذَا الصَّوتَ يوحِي "بمزيجٍ مِنَ اللُّيونةِ، والمرونةِ، والتَّماسكِ، والالتصاقِ"[30]. وهِيَ ذَاتُ الدَّلالاتِ والوظائف الحجاجيَّةِ، التي حاولَ حازم إقناعَ المتلقِّي بهَا، مِنْ خلالِ تأليفِهِ لكتابِ (المنهاج)؛ فالهدفُ مِنْ تأليفِهِ: إكسابُ الشُّعراءِ طرائقَ ومناهجَ الفُحولِ مِنَ البُلغاءِ والأُدباء في صناعتِهِم الشِّعريَّةِ؛ قصدَ إضفاءِ سمةِ المرونةِ والتَّماسكِ بين المعنى، والمبنى، والصُّورة، والأسلوبِ، والوزنِ في بناءِ القصيدةِ العربيَّةِ. والهدفُ مِنْ كُلِّ ذلكَ تبليغُ المعنى وإيصالِهِ إلى المتلقي، في أحسنِ صُورةٍ مُؤثِّرةٍ ومُقنعةٍ، وهذَا هُوَ دَيْدَنُ الحِجَاجِ ومُبتغاه. ولعلَّ دليلُ ذلكَ، قوْله في سياقِ تبيينِ طُرقِ المعرفةِ بما ينحى بالأساليبِ نحوهُ مِنْ جِهة ما يقصدُ حُسن موقعهَا مِنَ النُّفُوسِ: "فبالتَّصرُّفِ في المعاني علَى هذه الأنحاء يحسنُ موقعُ الأساليب من النُّفوسِ. فَمَنْ نحا هذَا النَّحو، وحمَّل كِلتَا الصِّناعتين من الأخرى ما تحتملهُ، وسَلَكَ في الطُّرقِ والأساليب المسالكَ المؤثِّرة المتقدّم ذكرهَا، وذهبَ بهَا المذاهب الملائمة للأغراضِ، وآنسَ بعضَ المعاني ببعضٍ، وراوحَ بينهَا على النَّحو المشار إليهِ، كان جديرًا أنْ ترتاحَ النُّفوس لأسلوبِهِ، وأنْ يحسنَ موقعهُ منهَا"[31]. فهُوَ يدعوهُمْ إلى التَّمسُّكِ بمناهجِ البلغاء؛ لتحسنَ صنعتهمْ الشِّعريَّة.

ب ـ 2 ـ 2 ـ حجاجيَّةُ الصَّوائت: تنهضُ الصَّوائتُ الطَّويلة بانفتاحِها، وامتدادهَا، وطُولها بوظائفَ حجاجيَّةٍ وتأثيريَّةٍ، تُسهمُ في إقناعِ المتلقي، والتَّأثيرِ فيهِ عاطفةً، وفكرًا، وسلوكًا. وهو ما نجدهُ في الصَّوائت المشكِّلةِ لبنيةِ عُنوانِ (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684هـ). وقبلَ إثباتِ ذلكَ، سنقومُ بتوضيحِ عددِ تواترِ الأصواتِ الصَّائتةِ في خطابِ العنونةِ، ونسبِ تواترهَا، وهُوَ ما يُوضِّحُهُ الجدول التَّالي:

الصوائت الطويلة	عدد تواترها	النسبة المئوية:
ألف المدّ	04	%100
ياء المدّ	/	/
واو المدّ	/	/
المجموع	04	%100

والملاحظُ مِنْ خِلالِ هذا الجدول، أنَّ الصَّائتَ المسيطرَ على بنيةِ عنوانِ كتابِ (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684هـ) هُوَ الصَّائتُ الطَّويلُ (ألف المدّ أو الألف الليّنة)، حيثُ بلغَ عدد تواترِهِ وحضوره في خطابِ العنونةِ حوالي (04) مرَّات، بنسبةٍ قدرُهَا (100%).

وسنقومُ فيمَا يلي بتحليلِ ألف المدّ حِجاجيًا، والكشفِ عَنْ علاقتهِ بالمقصديّةِ الإقناعيّةِ مِنْ تأليفِ "حازم" لكتابهِ (المنهاج)، وذلك فيمَا يلِي:

ب ـ 2 ـ 2 ـ 1 ـ حجاجيّة ألف المدّ: وظّفَ (حازم) ألفَ المدّ في عنوانِ مؤلّفِهِ توظيفًا حِجاجيًا، حوالي (04) مرّات، بنسبةٍ قدرهَا (100%). ويتجلّى ذلكَ واضحًا في الألفاظِ التّاليةِ: (منهاج)، (البلغاء)، (سراج)، (الأدباء). حيثُ أضفتْ (الألف اللّيّنة) على هذه الألفاظ خاصيّة الامتدادِ في المكانِ والزّمانِ[32]، إضافة إلى تميّزهَا بصفةِ الانفتاحِ. فقدْ أسهمتْ الألفُ اللّيّنةُ بامتدادهَا، وانفتاحهَا في إقناعِ القارئِ بنتيجةٍ ضِمنيّةٍ، مفادهَا: بيانُ دور المناهجِ الأدبيّةِ، والطّرائقِ الشّعرية للفحولِ مِنَ الشُّعراءِ في إكسابِ المبتدئينَ مِنَ الشُّعراءِ خاصيّة الامتدادِ، والديمومةِ لأشعارهمْ عبرَ الزّمانِ والمكانِ. يقولُ: "وكانَ أبو الطيّب المتنبي يعتمدُ المراوحةَ بين معانيهِ، ويضعُ مقنعاتهَا من مخيّلاتهَا أحسن موضعٍ، فيتمّ الفصولَ بها أحسنَ تتمّة، ويقسّم الكلامَ في ذلك أحسنَ قسمة. ويجبُ أنْ يؤتمّ به في ذلكَ، فإنّ مسلكهُ فيه أوضحُ المسالك"[33]. فتجربةُ المتنبّي في نظمِ الشّعر تمثّلُ حُجّةَ القُدوةِ، التي ينبغي على المتلقّي (الشُّعراء) التقيُّدَ بهَا؛ وذلكَ بالتفنُّنِ في إستخدامِ الأساليبِ، والصُّورِ، والأخيلةِ، والقوافي، وتجويدِ المطالعِ والخِتام.

والتّوجيهُ الحِجاجِيُّ الذي يقصدهُ الشّاعِرُ هُوَ: لفتُ الانتباه إلى القوانين البلاغيّةِ، والعروضيّةِ والأسلوبيّةِ، التي اِتّسمت بها قصائدُ الشُّعراء الفحول، وفيهِ دعوةٌ للشُّعراءِ بالانفتاحِ على مناهجِ فُحولِ الشُّعراء القُدامى، والنّسجِ على منوالهمْ في الصّياغةِ الشّعريّةِ.

الخاتمة والنتائج:

يمكن أن نجمل أبرز النتائج التي توصّلت إليها هذه الدّراسة في النّقاط الآتية:

- إضطلعتْ الأصواتُ بدورٍ حِجاجيّ في لغةِ عُنوانِ كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي (ت684 هـ)؛ حيثُ أسهمتْ في إقناعِ القارئ، واستمالتهِ، والتّأثيرِ فيهِ فِكراً (التّأكيد على قيمة الكتابِ المعرفيّةِ والمنهجيّةِ)، وشُعورًا (دعوة القارئ إلى الإعجابِ بمحتوى الكتاب)، وسلوكًا (دعوة القارئ إلى اِقتناء الكتاب، ومتابعةِ قراءتهِ، والامتثال بما أدْلى بهِ مؤلّفُهُ مِنْ مناهجِ وطرائق؛ تمكّنُ الشُّعراء من إحكامِ صناعتهمْ الشّعريّةِ).
- أسهمت الخصائص الصّوتيّة (الجهر، والشّدّة ...)، والدّلالات الإيحائيّة (لفت الانتباه، والحضور، والظهور...) لصوت (الهمزة) في لفظتيْ (البلغاء)، و(الأدباء) في لفت اِنتباه القارئ عامة والشّاعر خاصّة، وإقناعه بضرورة قراءة كتاب (المنهاج)، للاحتذاء بطرائق الفحول من الشُّعراء في النّظم الشّعريّ.
- أكْسَب صوتُ (اللّام) بنيةَ عنوانِ الكتابِ طاقةً إقناعيّةً وتأثيريّةً بالِغة؛ وذلك بفضلِ دلالته على الانحراف والتّماسك؛ فهو يُثبتُ نتيجةً حِجاجيّةً، مفادها: بيان اِنحراف الشُّعراء الأندلسيين المعاصرين عن القوانين الشّعريّة والبلاغيّة، التي سلكها فحول الشُّعراء في نسجِ أشعارهم. وفي ذلك دعوة بقيّة الشُّعراء إلى اِتّباعِ الطّرائق والمناهجِ الشّعريّة البليغة التي اِنتهجها هؤلاء الشعراء الفحول.

- وظّفَ حازم (ألف المدّ) في عُنوانِهِ (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) توظيفًا حِجَاجيًّا؛ ويتجلّى ذلكَ واضحًا في الألفاظِ التّاليةِ: (منهاج)، (البلغاء)، (سراج)، (الأدباء). حيثُ أضفتْ (الألف اللّيّنة) على هذهِ الألفاظِ خاصيَّةَ الامتدادِ في المكانِ والزّمانِ، إضافة إلى تميّزِهَا بصفةِ الانفتاحِ. فقدْ أسهمتْ الألف اللّيّنة بامتدادهَا، وانفتاحِهَا في إقناعِ القارئِ بنتيجةٍ ضِمنيَّةٍ مفادُهَا: بيانُ دور المناهجِ الأدبيَّة، والطَّرائق الشِّعريَّةِ لفحولِ الشُّعراء في إكسابِ المبتدئينَ من الشُّعراءِ خاصيَّة الامتدادِ والدّيمومةِ لأشعارِهِمْ عبر الزَّمانِ والمكانِ.

هوامش:

[1] ـ شكري المبخوت، "نظريّة الحجاج في اللّغة"، ضمن كتاب: (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم) فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمّادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، تونس 1، كليـة الآداب، منوبة، د ط، د ت، ص 360.

[2] ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغويّة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، (د ط)، (د ت)، ص07.

[3] ـ Léo Höck, La marque du titre, dispositifs Sémiotiques d'une moutors publishers, paris, 1981, p 5.

نقلا عن: عامر رضا، العنونة في الشّعر النسوي المعاصر شعر "هدى ميقاتي" أنموذجا، رسالة دكتوراه، إشراف: جاب الله أحمد، قسم اللّغة والأدب العربي، كلية الآداب واللّغات، جامعة الحاج لخضر ـ باتنة،2013 / 2014 م، ص15.

[4] ـ حاتم بن عارف العَوْني، العنوان الصَّحيح للكتاب تعريفه وأهميّته وسـائل معرفته وإحكامه أمثلة للأخطاء فيه، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، غرة جمادى الآخرة 1419هـ، ص 18.

[5] ـ القرطاجَنّي: منسوب إلى قَرطاجَنّة من سواحل كورة تدمير، من شرقيّ الأندلس. ينظر: شهاب الدّين أحمد بن محمَّد المقرّي التلمسانيّ، أزهار الرّياض في أخبار عياض، ضبط وتعليق: مصطفى السّقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنشر، القاهرة، صندوق إحياء التُّراث الإسلاميّ المشترك بين المملكة المغربيّة، ودولة الإمارات المتّحدة، الرباط، د ط، (1358هـ/1939م)، 173/3.

[6] ـ ينظر: شهاب الدّين أحمد بن محمَّد المقرّي التلمسانيّ، أزهار الرّياض في أخبار عياض، 3/ 172.

[7] ـ ينظر: القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمَّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م، ص53، 54.

[8] ـ ينظـر: المقـرّي، نفـح الطّيـب مـن غصـن الأنـدلس الرّطيـب، تحقيـق: إحسـان عبـاس، دار صـادر، بـيروت، د ط (1388هـ/1968م)، مج2، ص589.

[9] ـ ينظر: المقرّي التِلمسانيّ، أزهار الرّياض في أخبار عياض، 172/3.

[10] ـ ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص87 ـ 89.

[11] ـ أزهار الرّياض في أخبار عياض، ص172.

[12] ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص113.

[13] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص95.

[14] ـ المرجع نفسه، ص94.
[15] ـ المرجع نفسه، ص95.
[16] ـ المرجع نفسه، ص96.
[17] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص101.
[18] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص109.
[19] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص109 ـ 111.
[20] ـ سليمان فيّاض، إستخدامات الحروف العربيّة (معجميًّا، صوتيًّا، صرفيًّا، نحويًّا، كتابيًّا)، دار المرّيخ للنَّشر، الرياض المملكة العربيّة السُّعوديّة، (د ط)، (1418هـ/1998م)، ص19.
[21] ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص95.
[22] ـ ينظر: حسن عباس، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها دراسة، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دط،1998م ص72.
[23] ـ ومن أمثلته قول (حازم) في المعلم الدَّالّ على طرق العلم بما يخصّ المحاكاة التشبيهيّة من الأحكام: "وينبغي أن ينظر في المحاكاة التشبيهيّة من جهات...". (ينظر: حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص111).
[24] ـ ومن أمثلته، ما ذكره (حازم) في قوله: "واعلم أنَّ التَّماثل، والتَّشابه، والتَّخالف قد يقع في أشياء كثيرة الوجود، وقد لا تقع هذه النِّسب إلا في أشياء قليلة، وقد لا توجد واقعة في أكثر من شيئين". (ينظر: منهاج البلغاء، ص45).
[25] ـ حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص271.
[26] ـ المرجع نفسه، ص202.
[27] ـ حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص26.
[28] ـ حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، (1420هـ/1999م)، ص43.
[29] ـ المرجع نفسه، ص30.
[30] ـ حسن عباس، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، ص61.
[31] ـ المرجع نفسه، ص359.
[32] ـ ينظر: حسن عباس، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، ص73.
[33] ـ حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص361.

قائمة المصادر والمراجع:

أ ـ الكتب العربيّة:

1 ـ العَوْني، حاتم بن عارف، العنوان الصَّحيح للكتاب تعريفه وأهميّته وسائل معرفته وإحكامه أمثلة للأخطاء فيه، 1419هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1.
2 ـ القرطاجنّي، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمَّد الحبيب ابن الخوجة 1986م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3.

3 ـ المبخوت، شكري، "نظريّة الحجاج في اللّغة"، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمّادي صمود، د ت، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، تونس1، كلية الآداب، منوبة، دط.

4 ـ المقرّي، شهاب الدّين أحمد بن محمّد التلمساني، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق: إحسان عباس، (1388هـ/1968م)، دار صادر، بيروت، د ط، مج2.

5 ـ المقرّي، شهاب الدّين أحمد بن محمّد، أزهار الرّياض في أخبار عياض، ضبْط وتعليق: مصطفى السّقا إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، (1358هـ/1939م)، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنشر ـ القاهرة، صندوق إحياء التراث الإسلاميّ المشترك بين المملكة المغربيّة، ودولة الإمارات المتّحدة، الرباط، د ط، ج3.

6 ـ أنيس، إبراهيم، الأصوات اللُّغويّة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، د ط، د ت.

7 ـ عباس، حسن، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، 1998م، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دط.

8 ـ عمر، أحمد مختار، معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة،2008م، عالم الكتب، القاهرة، ط1، مج2.

9 ـ فياض، سليمان، استخدامات الحروف العربيّة (معجميا، صوتيا، صرفيا، نحويا، كتابيا) 1418هـ/1998م، دار المريخ، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، د ط.

10ـ كمال الدين، حازم علي، دراسة في علم الأصوات، 1999/1420، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1.

ب ـ الكتب الأجنبيّة:

2 ـ Léo Höck, La marque du titre, dispositifs Sémiotiques d'une moutors publishers, paris, 1981.

ج ـ الرسائل الجامعيّة:

1 ـ رضا عامر، العنونة في الشّعر النسوي المعاصر شعر "هدى ميقاتي" أنموذجا،2013 /2014م رسالة دكتوراه، قسم اللّغة والأدب العربي، كلية الآداب واللّغات، جامعة الحاج لخضر ـ باتنة.